سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ

(٨٠)

شرح

التقريض المبدع

نظم

القواعد الأربع

منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين

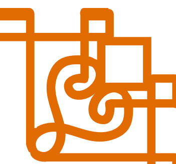
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

الكتاب الحادي عشر ١١

برنامج مهمات العلم

السنة الثانية ١٤٣٤ (قطر)

سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٨٠)



القريض المبدع

نظم

القواعد الأربع

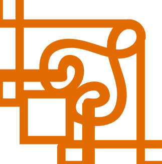
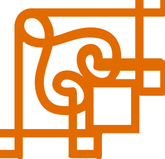
منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

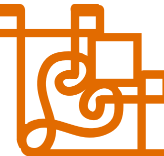
النسخة الأولى



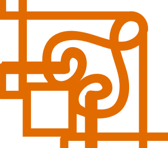
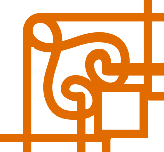

شرح
القريض المبدع
نَظْم
القواعد الأربع

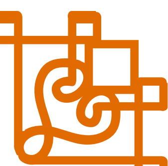



للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com

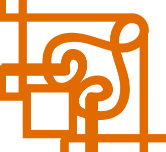



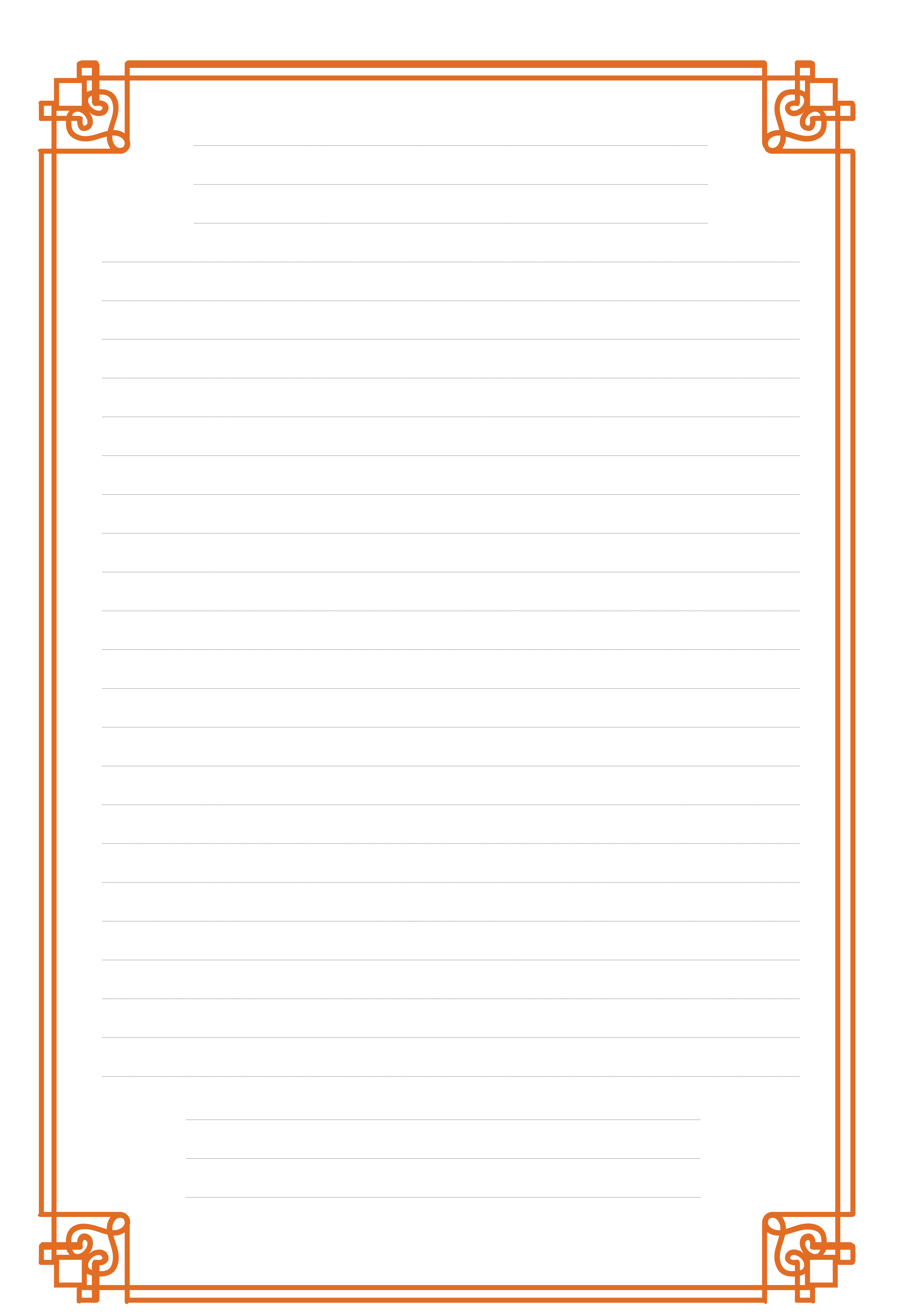
الحمد لله الَّذي جَعَل مُهمَّات الدِّيانة فِي جُمَلْ، والصَّلاة والسَّلام علىٰ عبدِه ورسوله محمَّدٍ المبعوثِ قُدوةَ العلمِ والعَملْ، وعلىٰ آله وصحبه ومَنْ دينَه حَمَلْ.

أمَّا بعدُ:

فَهذَا شَرْح **(الكتاب الحادي عشر)** مِنْ برنَامجِ **(جُمَل العلم)** فِي **(سنتِهِ الثَّانية)**؛ أربعٍ وثلاثينَ بعد الأربعمائةٍ والألف، بدولته الثَّانية دولة (قطر)، وهو كتابُ **«القَريض المُبْدَع نَظم القواعد الأربع»**،لِمُعِدِّ البرنامج صالحِ بنِ عبد اللهِ بنِ حمدٍ العصيميِّ.





قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْـــــــدُ للهِ عَلَى الْإِسْــــــلَامِ
وَالسُّـــــنَّةِ الْغَـــــرَّاءِ وَالْإِنْعَـــامِ
أَحْمَـــدُهُ سُـــبْحَانَهُ لَمَّـــا هَـــدَى
لِمَهْيَـــعِ التَّوْحِيـــدِ دَرْبِ السُّـــعَدَا
هَـــادِيهِمُ فِيـــهِ هُـــوَ الْمُخْتَـــارُ
مُحَمَّـــدٌ رَسُـــولُنَا الْخِيَـــارُ
صَـــلَّى عَلَيْـــهِ اللهُ وَالْأَمْـــلَاكُ
وَسَـــلَّمُوا مَـــا دَارَتِ الْأَفْـــلَاكُ
وَآلِهِ وَصَـــــحْبِهِ الْهُـــــدَاةِ
مَـــنْ أَحْـــرَزُوا الطَّرِيـــقَ لِلنَّجَـــاةِ
وَبَعْـــدُ هَـــاكَ تُحْفَـــةً حَبَّرْتُهَـــا
بِأَبْـــدَعِ الْأَلْفَـــاظِ مَـــا طَوَّلْتُهَـــا
مُرَجِّـــزًا مَـــا حَـــرَّرَ الْإِمَـــامُ
مُحَمَّـــدٌ أُحْـــيِي بِـــهِ الْإِسْـــلَامُ
فِي أَصْـــقُعٍ قَـــدْ أَنْتَنَـــتْ بِالشِّـــرْكِ
حَـــتَّى غَـــدَتْ حَرِيَّـــةً بِـــالتَّرْكِ

سُــــمًى لَهُ لَاحَ الْقَـــــرِيضُ الْمُبْــــدَعُ
فِي دُرِّهِ تُجْـــــلَى قَوَاعِـــــدُ أَرْبَـــــعُ
مُلْتَزِمًـــا فِيهَـــا اتِّبَـــاعَ الْأَصْـــلِ
رَجَـــاءَ نَفْعِهَـــا بِيَـــوْمِ الْفَصْـــلِ

قَالَ الشَّارِحُ وفّقه الله:

ابتدأ المصنِّف - وَفَّقه الله - أُرجوزته اللَّطِيفَةَ المُسَمَّاةَ «القَرِيض المُبدَع» بِحَمْدِ الله على نِعَمٍ جليلةٍ؛ رأسُها: الإسلامُ، ولُزوم السُّنَّة؛ فَإِنَّ هاتين النِّعمتَيْن أَجَلُّ النِّعَمِ المُسْدَاةِ إلى العبد.

وإلى ذلك أَشَار أبو عَمرٍو الدَّانِيُّ فِي «مُنَبِّهته»؛ إذ قال:

أَيَـــا رَبِّـــي لَـــكَ الْمِنَّـــهْ عَلَـــى الْإِسْـــلَامِ وَالسُّـــنَّهْ
هُمَـــــا وَالله بُرْهَانَـــــانِ أَنَّـــى نَـــدْخُلَ الْجَنَّـــهْ

ثُمَّ ذَكَر بعد هاتيْن النِّعمتَيْن اسْمَ (الْإِنْعَامِ) الدَّالِ على العموم، فأفراد نِعمة الله عَزَّوَجَلَّ لا تنحصِر؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[النَّحل:١٨].

وأعظم النِّعم: النِّعمةُ الَّتي يصلُح بِها حال الإنسان في قلبه ورُوحه؛ وهي نِعمة الإسلام واتِّبَاع سُنَّة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ كان أَخَصُّ حَمْدِه هُو أَوْلَى ما يُحْمَد الله عَزَّوَجَلَّ عليه؛ وهو حَمْدُ العبدِ رَبَّه على

هدايـة الله عَزَّوَجَلَّ لـه لطريـق (التَّوْحِيــدِ)؛ الَّـذي هــو (دَرْبُ السُّــعَدَاءِ)؛ كمـا ثَبَـت في «الصَّـحيح» مـن حـديث أبـي هريـرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّـه قـال للنَّبـيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: مَـنْ أسـعدُ النَّاسِ بِشفاعتِك يوم القيامة؟ فقال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِه**».

فـ (دَرْب السُّعداءِ) هو تَوْحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

وكيف لا يكون كذلك و(هَادِيهِمُ فِيهِ هُوَ الْمُخْتَارُ) صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كما قال النَّاظم:

(هَـــادِيهِمُ فِيـــهِ هُـــوَ الْمُخْتَـــارُ
مُحَمَّــــدٌ رَسُــــولُنَا الخِيَـــارُ)

و(الخِيَارُ)؛ أي العَدْل؛ **فـ (الخيار)**: اسمٌ للعَدْلِ.

والنَّبـيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أعـدلُ الخَلْـقِ، كمـا أَنَّ أُمَّتـه أعـدَلُ الأُمـم؛ قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣]؛ أي عُدُولًا خِيارًا.

فالعدالةُ التَّامَّةُ: للنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولأُمَّتِه مِن بعدِه.

ثُمَّ ذَكَر رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في تعظيم الصَّلاة على النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قولَه:

(صَـــلَّى عَلَيْـــهِ اللهُ وَالْأَمْـــلَاكُ
وَسَـــلَّمُوا مَـــا دَارَتِ الْأَفْـــلَاكُ)

يعني أفلاكَ النُّجومِ في السَّماء.

وهذا تعظيمٌ للصَّلاة والسَّلام عليه من جهة الكَيْفِيَّة، لا مـن جهـة الكمِّيَّة؛ فلـو قـال أحدٌ: (صَلَّى الله على مُحَمَّدٍ عدد الأفلاك) كانت الصَّلاة الواقعةُ منه (واحـدةً)، ولكنَّهـا صلاةٌ مُعَظَّمةٌ كَيْفًا.

فتتكَرَّر الصَّلاة فِي عَدَدِها باعتبار ما يكون معدودًا جارِيًا على اللِّسان منها.

فإذا قال: (صَلَّى الله على مُحمَّدٍ، صَلَّى الله على مُحمَّدٍ)؛ فإنَّه يكون صَلَّى عليه صلاتَيْن، وكُلُّ صلاةٍ باعتبار ما يَحْتَفُّ بِها من التَّعظيم والإجلال بما يُذْكَرُ فيها؛ كنحو المذكور في قوله: (مَا دَارَتِ الْأَفْلَاكُ).

ثُمَّ أَتْبَع الصَّلاةَ والسَّلامَ عليه بالصَّلاةِ والسَّلام على (آلِهِ وَصَحْبِهِ)، مُعَلِّلًا ذلك بقوله: (مَنْ أَحْرَزُوا الطَّرِيقَ لِلنَّجَاةِ)؛ أي الَّذين أدركوا ونالوا طريق النَّجاةِ ووقفوا عليها.

ثُمَّ ذَكَر النَّاظمُ بعد حَمْدِ الله والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَنَّ هذه المنظومةَ تُحفةٌ مُحبَّرةٌ؛ فقال: (وَبَعْدُ هَاكَ تُحْفَةً حَبَّرْتُهَا)؛ أي زَيَّنْتُها. فـ(**التَّحبير**) هو التَّزيين.

والتَّزيين واقعٌ (بِأَبْدَعِ الْأَلْفَاظِ) المُنتخَبَةِ المُنَاسِبَةِ للمَقام دون تطويلٍ.

فإنَّ حقيقة البلاغة: البيانُ عن المرادِ بأَوْجَزِ عبارةٍ؛ فالاختصار مِن مَحاسن المقاصد في الكلام، ولا سيَّما فِي التَّعليم.

ولهذا كان القرآن الكريم اختصارًا، وكانت سُنَّة النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اختصارًا؛ فإنَّ القرآن مُنْتَظِمٌ في أربعَ عشْرةَ سُورةً بعد المائة، والله قادرٌ على أنْ يملأ هذا المكان كُلَّه من السُّوَر المُنَزَّلةِ في الكتاب، لكن جِيءَ بِها جَمْعًا للمقاصد وإيصالًا للكُلِّيَّات.

وكذلك كانت سُنَّتُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فكان يَجْمَعُ المعنى الجليل فِي الكلام القليل.

وهذه المنظومةُ - الموضوعةُ على وَجْه الإيجازِ - جَعَلها مُصَنِّفها على بَحْر الرَّجَز؛

كما قال:

(مُرَجِّـــــزًا مَـــــا حَـــــرَّرَ الْإِمَــــامُ
مُحَمَّـــــدٌ أُحْـــــيِي بِـــــهِ الْإِسْـــــلَامُ)

أَيْ ناظِمًا مقاصدَ هذا الكتابِ على بَحْرِ الرَّجز.

والرَّجز: بَحْرٌ من بحور الشِّعر، أجزاؤُه: (مُسْتَفْعِلُن) سِتَّ مرَّاتٍ؛ كما قال أحمدُ الهاشميُّ:

والرَّجَــزُ البَــادِي لَنَــا سَــنَاؤُهُ (مُسْــتَفْعِلُنْ) سِــتًّا تُــرَى أَجْـزَاؤُهُ

والمُرَجِّز في هذه المنظومة: هو كتابٌ لطيفٌ للإمامِ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سُليمانَ التَّميميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؛ الَّذي أَحْيا الله عَزَّوَجَلَّ به الإسلام والسُّنَّة فِي بلادٍ كانت مليئةً بالشِّرك؛ (حَتَّى غَدَتْ حَرِيَّةً) يعني حَقِيقةً (بِالتَّرْكِ)؛ وذلك بالهجرة منها.

فكانت أحوال النَّاس فيها على ما ذَكره حفيدُه عبد الرَّحمن بن حسنٍ فِي «المقامات»، وابن حفيدِه عبدُ اللَّطيف بن عبد الرَّحمن من أحوال النَّاس في وقوعهم في الشِّرْك والبِدَع والضَّلالات.

فجاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بإحياءِ - أي بِبَعْثِ وإنعاشِ - الدِّين الَّذي بُعِثَ به النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- و(**الإحياء للدِّين**): يُضافُ إلى غير النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووَرَدت فيه أحاديثُ.
- **أمَّا (وَضْع الدِّين)** - بالبلاغ عن الله -: فهذا للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده.

والكتاب الَّذي رَام نَظْمَه مِن تآليف الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب: هو كتاب

«القواعد الأربع»؛ كما قال:

(سُــــمًى لَهُ لَاحَ الْقَـــرِيضُ الْمُبْـــدَعُ
فِي دُرِّهِ تُجْــــلَى قَوَاعِـــــدُ أَرْبَـــــعُ)

فهو عَمَدَ إلى نَظْم رسالة «القواعد الأربع».

ثُمَّ قال: (مُلْتَزِمًا فِيهَا اتِّبَاعَ الْأَصْلِ)؛ أي مُتَابِعًا فيها ما ذَكَره المُصنِّف؛ (رَجَاءَ نَفْعِهَا بِيَوْمِ الْفَصْلِ)؛ أي رجاء حصول النَّفع بِهذا النَّظْم في يوم القيامة.

وسُمِّي يومُ القيامةِ (يَوْمَ الْفَصْلِ)؛ لأَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يفصل فيه بين المؤمنين والكافرين؛ فيكون منتهى المؤمنين إلى الجَنَّة، ويكون منتهى الكافرين إلى النَّار.

وأهلُ العِلم إِنَّما صَنَّفوا المُصَنَّفات ابتغاء الأجرِ والمَثُوبة من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإِنَّهم لا يُريدون بذلك الذِّكْر والشُّكر مِن النَّاس، وإِنَّما يُريدون التَّقرُّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما يَدُلُّونَهُم عليه من العلم النَّافع المُوصِل إلى الله عَزَّوَجَلَّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

فصلٌ

وَمِلَّـــةُ التَّوْحِيـــدِ نَصًّـــا تُنْسَـــبُ
إِلَى الْخَلِيـــلِ جَـــدِّنَا وَتُعْـــرَبُ
أَنْ تَلْـــزَمَ الْإِفْـــرَادَ بِالتَّمْجِيـــدِ
لِلهِ رَبِّ الْعَـــرْشِ وَالْعَبِيـــدِ
فَتَعْبُـــدَ الْإِلَهَ بِـــالْإِخْلَاصِ
مُسْتَمْسِـــكًا بِعُـــرْوَةِ الْخَـــلَاصِ
لِأَجْـــلِ ذَا ابْـــرَاهِيمُ بِـــالْحَنِيفِ
مُلَقَّـــبٌ مَـــعْ تَـــابِعٍ شَرِيـــفِ
وَقَـــوْلُهُ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ﴾
الْآيَـــةَ التَّعْلِيـــلُ جَـــاءَ مَنًّـــا
مُبَيِّنًـــا لِلْحِكْمَـــةِ الشَّـــرْعِيَّهْ
مِـــنْ خَلْقِنَـــا وَالْجَعْـــلِ لِلذُّرِيَّـــهْ
أَنْ نَعْبُـــدَ الـــرَّحْمَنَ بِالْخُضُـــوعِ
وَحُبِّـــهِ وَالسِّـــرُّ فِي الْمَجْمُـــوعِ
وَكُلُّ عَامِـــلٍ مَـــعَ الْإِشْرَاكِ
فَـــأَمْرُهُ رَدٌّ وَغَـــيْرُ زَاكِي

فَمَـــنْ بِرَبِّنَـــا الْعَظِـــيمِ يُشْـــرِكُ
مُقَـــبَّحٌ وَذَنْبُـــهُ لَا يُـــتْرَكُ
وَالْحُكْـــمُ فِي الْقُـــرْآنِ أَنَّ اللَّهَ
لَا يَغْفِـــرُ الْإِشْرَاكَ كُـــنْ أَوَّاهَـــا

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَه اللهُ:

ذَكَرَ النَّاظم في هذا الفصلِ: أَنَّ (مِلَّةَ التَّوْحِيدِ نَصًّا) أي في الكتاب والسُّنَّة (تُنْسَبُ إِلَى إِلَى الْخَلِيلِ جَدِّنَا) إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(وَتُعْرَبُ)؛ أي تُبَيَّن وتُظْهَر.

فشُهِرَ تلقيبُها بـ (مِلَّة إبراهيم) نِسْبةً إليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأمريْن اثنين:

- **أحدهما**: أَنَّ القوم الَّذين نَزَلَ فيهم القرآن على مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يَنتسِبون إلى إبراهيمَ، ويذكرون أَنَّهم على إِرْثٍ من إِرْثِه.
- **والآخر**: أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جَعَلَ إبراهيمَ إمامًا لِمَنْ بعده من الأنبياء، وأَمَرهم أن يقتدوا به؛ ذَكَره أبو جعفر ابن جريرٍ في «تفسيره».

فلاجتماعِ هذيْن الأمريْن نُسِبَت المِلَّةُ التَّوْحِيدِيَّة إلى إبراهيمَ؛ مع أَنَّها لا تختَصُّ به؛ فهي دينُ الأنبياءِ جميعًا.

وقولُه: (إِلَى الْخَلِيلِ جَدِّنَا)؛ أي جَدِّ العرب؛ فإِنَّ إبراهيمَ الخليلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو

جَدُّ العرب قاطبةً؛ فالعربُ قاطبةً يرجعون إلى ابنِه إسماعيلَ.

فالقبائل العَدنانِيَّة والقَحطانِيَّة كُلّها يجمعُها إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا قول ابنُ إسحاقَ والزُّبيرِ بن بَكَّارٍ من علماء النَّسَب، وهو اختيار أبي عبد الله البخاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وأشرتُ إلى ذلك بِبَيتيْن فِي «معاقد الأنساب» بقولي:

وَانْسُبْ جَمِيعَ الْعُرْبِ لِلذَّبِيحِ عَدْنَانَ مَعْ قَحْطَانَ فِي الصَّحِيحِ
فَهُوَ أَبُو قَحْطَانَ فِي قَوْلٍ جَلِي دَلِيلُهُ عِنْدَ البُخَارِي مُنْجَلِي

(فَهُو): يعني إسماعيل.

و(دَلِيلُهُ): تجدونه في «البخاريِّ» في (**باب نِسْبة اليمن إلى إسماعيل**)؛ يعني نِسبة القبائل القَحطانيَّة إلى إسماعيلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وحقيقةُ مِلَّة التَّوحيد: إفراد الله بالتَّوحيد؛ كما قال:

(أَنْ تَلْزَمَ الْإِفْرَادَ بِالتَّمْجِيدِ لِلهِ رَبِّ الْعَرْشِ وَالْعَبِيدِ
فَتَعْبُدَ الْإِلَهَ بِالْإِخْلَاصِ مُسْتَمْسِكًا بِعُرْوَةِ الْخَلَاصِ)

أي بالعُروة الَّتي تُنْجِيك.

و(**الإخلاص**) **شَرْعًا**: تصفية القلب من إرادة غير الله.

وإليه أشرتُ بقولي:

إِخْلَاصُنَا للهِ صَفُّ الْقَلْبِ مِنْ ... إِرَادَةٍ سِوَاهُ فَاحْذَرْ يَا فَطِنْ

وتَقَدَّم أَنَّ (**العُرْوة**): اسْمٌ لِمَا يُسْتَمْسَكُ ويُتَعَلَّق به.

و(عُرْوَةُ الْخَلَاصِ) هي العُروة الوُثقى؛ يعني العُروةَ القَوِيَّة.

ولأجل هذا لُقِّبَ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ باسْمِ (الحَنِيف)؛ لكمالِ إقباله على الله عَزَّوَجَلَّ ومَيْلِه عمَّا سِواه.

فـ(**العُروة الوُثقى**) **الَّتي كان عليها إبراهيمُ ونُسِبَت إليها مِلَّته**: هي إقباله على الله عَزَّوَجَلَّ ومَيْلُه عمَّا سِواه؛ كما تَقَدَّم بيانه.

ثُمَّ أَوْرَد الاستدلال بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذَّاريات] بيانًا لحقيقة هذه المِلَّة؛ أَنَّها تدعو إلى إفرادِ الله بالعبادة.

وهذا الإيرادُ للآية المذكورةِ على هذا النَّمَطِ يُسمَّى (اقتبَاسًا)؛ وإلى ذلك أشار الأخضريُّ فِي «الجوهر المكنون» بقوله:

وَالاقْتِبَاسُ أَنْ يُضَمَّنَ الْكَلَامْ ... قُرَانًا اَوْ حَدِيثَ سَيِّدِ الْأَنَامْ

وقوله: (الآيَةَ)؛ يعني إلى تَمام الآية.

وقوله: (التَّعْلِيلُ جَاءَ مَنَّا)؛ يعني في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾[الذَّاريات:٥٦]؛ فإِنَّ اللَّام فيها للتَّعليل.

فامتَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بخَلْقهم لعِلَّةٍ عظيمةٍ؛ وهي عبادتُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فهي الحِكمة الشَّرعيَّة الَّتي لأجلها خُلِق الجِنُّ والإنس، وبِها يَشْرُف العبد ويَرْقى؛ فإِنَّ شَرَف العبد بقيامه بعبادة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فَمَنْ كَمُل قَدْرُه في العبادة؛ كَمُل قَدْرُه عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال القاضي عياضٍ اليَحصبيُّ:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيْهًا   وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ (يَا عِبَادِي)   وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

فمِن مَفاخر العبد: أَنْ يكون عبدًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ بَيَّن **حقيقة العبادة** بقوله:

(أَنْ نَعْبُدَ الرَّحْمَنَ بِالْخُضُوعِ
وَحُبِّهِ وَالسِّرُّ فِي الْمَجْمُوعِ)

فعبادة الله تجمع الحُبَّ والخضوع.

وتَقَدَّم أَنَّ (**العبادة**) **شَرْعًا** هي اتِّباع خطاب الشَّرع المُقتِرن بالحُبِّ والخضوع.

ثُمَّ قال:

(وَكُلُّ عَامِلٍ مَعَ الْإِشْرَاكِ
فَأَمْرُهُ رَدٌّ وَغَيْرُ زَاكِي)

أي أَنَّ كُلَّ عاملٍ يعمل عَمَلًا يُخالِطُه الشِّرْكُ فأَمْرُه (رَدٌّ)؛ يعني مَردودٌ عليه، كما في «الصَّحيحين» من حديث سعدِ بن إبراهيم الزُّهريِّ، عن القاسم بن محمَّدٍ، عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**»، واللَّفظ لمسلمٍ.

وقوله: (وَغَيْرُ زَاكِي)؛ يعني غير مقبولٍ؛ لأَنَّ **الزَّكاءَ** هو النُّمُوُّ والارتفاع والقَبول، فلا

ثوابَ له؛ كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزُّمر:٦٥]؛ أي يسقط ويُرَدُّ عليك ولا يُحسَبُ لك.

ثُمَّ قال:

(فَمَنْ بِرَبِّنَا الْعَظِيمِ يُشْرِكُ
مُقَبَّحٌ وَذَنْبُهُ لَا يُتْرَكُ
وَالْحُكْمُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ اللهَ
لَا يَغْفِرُ الْإِشْرَاكَ كُنْ أَوَّاهَا)

فمَنْ أشركَ بالله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ حالَه قبيحةٌ؛ لِمَا في ذلك من إساءة الأدب مع الرُّبوبِيَّة، والإخلالِ بِحَقِّ الأُلوهِيَّة. فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو المالك الخالِقُ الرَّازقُ المُتَصَرِّف المُدبِّر، وهو المُستحِقُّ للتَّأليه بالحُبِّ والتَّعظيم.

فالمُواقِع للشِّرك واقعٌ فِي حالٍ قبيحةٍ؛ [١] وأيُّ قُبحٍ أعظمُ مِن هذا القُبح، أن يخلُقَك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويُنْعِمَ عليك، ثمَّ تقعَ في الشِّرك به!

ثُمَّ قال: (وَذَنْبُهُ لَا يُتْرَكُ)؛ يعني لا يُترَكُ ولا يُسامَح فيه؛ فالشِّرك لا يغفِره الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النِّساء:٤٨].

والشِّرك الَّذي لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ هو الشِّرك كُلُّه، صغيرُه وكبيرُه. **فالشِّرك الأصغر والأكبَر غير مَغفورَيْن**؛ لأَنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[النِّساء:٤٨] يُؤَوَّل المصدر فيها إلى: (شِرْكًا)، ويُسْبَك تقديرًا في الكلام: (إِنَّ الله لا يغفرُ شِرْكًا به)؛ فيكون

(١) في هذا الموضع وقع قَطْعٌ يسيرٌ في التَّسجيل، وتمَّ استدراكُه من شرحٍ آخر للكتاب.

نكرةً في سياق نَفْيٍ، والنَّكرة في سياق النَّفي تفيد العموم.

فالشِّرك - الأكبر والأصغر - لا يُغفَرُ أبدًا.

- **وصاحب الشِّرك الأكبر**: مآلُه النَّار، خالدًا مُخَلَّدًا فيها.
- **وأَمَّا الأصغر**: فإنَّه لا يُغفَر شِرْكُه، ويُجعَل فِي ميزان سيِّئاته، فإنْ رَجَحت الحسنات بِها أدخلَه الله الجَنَّة، وإنْ لم ترجَح الحسناتُ أُدْخِل النَّارَ ثُمَّ عُوقِب على ذلك، ثُمَّ أدخله الله عَزَّوَجَلَّ الجَنَّة.

وقولُه: (وَالحُكْمُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ اللهَ*** لَا يَغْفِرُ الْإِشْرَاكَ) إشارةٌ لذلك.

ثُمَّ قوله: (كُنْ أَوَّاهَا) تَتْمِيمٌ.

والمَعنى: الأمر بأَنْ يكون العبد أَوَّاهًا؛ أي رَجَّاعًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما يُحبُّه ويرضاه.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

القاعدة الأُولَى

إِنَّ الَّذِيـــــنَ كَانَ فِــــيهِمْ أَحْمَـــــدُ
هُـــمْ أَيْقَنُـــوا بِـــاللهِ رَبًّـــا يُوجِـــدُ

فَعِنْــــدَهُمْ مَـــا غَـــيْرُهُ خَـــلَّاقُ
لَهُ الْأُمُـــــورُ وَحْـــــدَهُ الـــــرَّزَّاقُ

وَإِنْ تَكُـــــنْ مُنَاشِـــــدًا فِي جَمْعِهِـــمْ
وَسَـــــائِلًا لِإِنْسِـــــهِمْ وَجِـــــنِّهِمْ

مَـــنْ أَتْقَـــنَ الْأَكْـــوَانَ فِي اتِّسَـــاقِ
وَأَطْعَـــمَ الْمَكْنُـــونَ فِي الْأَعْمَـــاقِ

قَـــالُوا جَمِيعًـــا دُونَمَـــا اخْـــتِلَافِ
اللهُ رَبُّ الْــــــحَيِّ وَالْأَسْــــــلَافِ

لَكِـــنَّهُمْ لَـــمْ يَـــدْخُلُوا الْإِسْـــلَامَا
بِقَـــوْلِهِمْ وَلَا غَـــــدَوْا حَرَامَـــــا

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بَيَّنَ النَّاظم فِي هذه القاعدة: أَنَّ مَنْ بُعِثَ فيهم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُقِرُّون

بِرُبوبيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، وأشار إليه بِاسْمه الآخَر (أَحْمَدُ)؛ فإِنَّ (أحمدَ) من أسماء النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فكان أولئك الَّذين بُعِثَ فيهم النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُقِرُّون بالرُّبُوبِيَّة، فيعتقِدُون أَنَّ الله هُوَ الخَالِق الرَّازِق المُدَبِّر؛ فالأمر كما قال:

(فَعِنْدَهُمْ مَا غَيْرُهُ خَلَّاقُ
لَهُ الْأُمُورُ وَحْدَهُ الرَّزَّاقُ)

وهذا الأمر أَوْجَبَ فِي نُفوسهم الإقرارَ بِرُبوبِيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال النَّاظم:

(وَإِنْ تَكُنْ مُنَاشِدًا فِي جَمْعِهِمْ
وَسَائِلًا لِإِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ
مَنْ أَتْقَنَ الْأَكْوَانَ فِي اتِّسَاقِ
وَأَطْعَمَ الْمَكْنُونَ فِي الْأَعْمَاقِ)

فلو بَادرتَهم بالسُّؤالِ عمَّنْ خَلَقَ الجِنَّ والإنس (وَأَطْعَمَ الْمَكْنُونَ) يعني المَخْفِيَّ (فِي الْأَعْمَاقِ) كان جوابُهم كما قال:

(قَالُوا جَمِيعًا دُونَمَا اخْتِلَافِ
اللهُ رَبُّ الْحَيِّ وَالْأَسْلَافِ)

أي رَبُّ الأحياء الموجودين، ورَبُّ الأسلافِ الماضِين؛ فَهُم مُقِرُّون بأفعال الرُّبوبِيَّة أَنَّها لله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، فَهُم مُقِرُّون بِرُبوبِيَّة الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله فِي خَلْقه ورِزْقه ومِلْكه وتدبيرِه؛

لظهورِ شواهدِها، وقُوَّة سلطانِها، وهَيْمنتِها على الخَلْق.

فإِنَّ العبد إذا قَلَّب نَاظِرَيْه في مَلكوت السَّموات والأرض بَادرتْه شواهد الرُّبوبِيَّة مُخْضِعةً قَلبَه، مُلْجِمةً سُلطانَه، مُوقِعةً نفسَه فِي الإقرار قَطْعًا أَنَّ هذا الكون له مُكَوِّنٌ، وأَنَّ هذا الخَلْقَ له خالقٌ.

كما قال الشَّاعر:

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى كُتُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ

فكيفما نَظَرَ المرء في ملكوتِ السَّموات والأرض أَقَرَّ قَطْعًا بِأَنَّ هذا الكون له خَالِقٌ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيُورِثه ذلك الإقرارَ في الرُّبوبيَّة، والمُنازِع في ذلك قديمًا وحديثًا قليلٌ.

وهذا الإقرار في الرُّبُوبِيَّة لا يُوجِب دخول صاحبه المُقِرِّ به في الإسلام، ولا تحصُل له حُرْمة الدَّمِ والمال والعِرْض، كما قال:

(لَكِنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلُوا الْإِسْلَامَا
بِقَوْلِهِمْ وَلَا غَدَوْا حَرَامَا)

أي لم يكونوا مسلمين بالإقرار بالرُّبُوبِيَّة، ولا صاروا مِمَّنْ يَحْرُم دمُه ومالُه وعِرْضُه؛ فإقرارهم بالرُّبوبيَّة لم يكنْ كافيًا فِي حصول اسم (الإسلام) لهم، ولا مُوجِبًا الحُرمةَ لهم.

وهذا الإقرار الَّذي يُذْكَر للمشركين إقرارٌ ناقصٌ غير كاملٍ؛ فليس مُساوِيًا إقرارَ المؤمنين؛ **فإنَّ إقرارَ المشركين بالرُّبوبية يُفارِق إقرار المُوَحِّدين من جهتين:**

* **إحداهما**: أَنَّ إقرار المؤمنين كُلِّيٌّ عامٌّ، لا يَتَخَلَّف عنه فردٌ من الأفراد المُندَرِجة في توحيد الرُّبوبِيَّة.

* **والجهة الثَّانية**: أَنَّ إقرار المؤمنين المُوَحِّدين بالرُّبوبِيَّة خالٍ من الاعتقاد المُخالِف للحَقِّ. وأَمَّا إقرار المُشركين بالرُّبوبيَّة ففيه ما يُخالف الاعتقادَ الصَّحيحَ.

فبين الطَّائفتين بَوْنٌ شاسعٌ في الإقرار؛ فَهُم يشتَرِكُون في وجود الإقرار، لكنَّهم يَفْتِرقون في حقيقة ما لِكُلٍّ.

وَوِجدان أصل الإقرار عند المشركين في الرُّبوبِيَّة كافٍ في صِحَّة نسبةِ هذا الأمر إليهم؛ ولذلك جَعلَه مُصَنِّف الأصلِ القاعدةَ الأُولَى.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

القاعدة الثَّانِيَّة

وَمِـــنْ مَقَـــالِهِمْ لِأَجْـــلِ الْقُرْبَـــةِ
شَـــفَاعَةٍ تَوَجَّهُـــوا فِي الْإِرْبَـــةِ

لِيَحْصُـــــلَ الْإِدْرَاكُ لِلْمَرَاتِـــــبِ
وَالدَّفْـــعُ لِـــلْأَضْرَارِ وَالْمَعَايِـــبِ

وَقَـــدْ أَتَى فِي وَحْيِنَـــا الْقُـــرْآنِي
شَـــفَاعَةٌ حُـــدَّتْ مَـــعَ الْبُرْهَـــانِ

بِأَنَّهـــا نَـــوْعَانِ مِنهَـــا الْمَـــنْفِي
وَمُثْبَـــتٌ مِنْهَـــا بِغَـــيْرِ حَـــرْفِ

فَـــالْأَوَّلُ الْمَـــنْفِي عَـــنِ الْكُفَّـــارِ
الْخَـــالِدِينَ أَبَـــدًا فِي النَّـــارِ

وَالْمُثْبَـــتُ اللهُ بِـــهِ تَفَضَّـــلَا
عَلَى مُشَـــفَّعٍ وَمَشْـــفُوعٍ تَـــلَا

بِشَـــــرْطِهِ الَّذِي أَتَى صَرِيحَـــا
عَـــنْ رَبِّنَـــا حَـــتَّى بَـــدَا فَصِـــيحَا



قَالَ الشَّارِحُ وفّقه الله:

ذَكَر النَّاظم في القاعدة الثَّانية: **أَنَّ المشركين الأوَّلين زَعموا أَنَّهم اتَّخذوا شُركاء من دون الله لأجل أمرين:**

- **أحدهما**: تحصيل القُرْبة.
- **والآخر**: تحصيل الشَّفاعة.

وهذا معنى قوله:

(وَمِـــنْ مَقَـــالِهِمْ لِأَجْـــلِ الْقُرْبَـــةِ
شَـــفَاعَةٍ تَوَجَّهُـــوا فِي الْإِرْبَـــةِ)

يعني في حاجاتِهم؛ فَهُم يقصدون بذلك رِفْعة الدَّرجات، ودَفْع المَضَرَّات، بما ينالون من القُرْبة والشَّفاعة، كما قال:

(لِيَحْصُـــلَ الْإِدْرَاكُ لِلْمَرَاتِـــبِ
وَالدَّفْـــعُ لِـــلْأَضْرَارِ وَالْمَعَايِـــبِ)

فمتى فازوا بالقُربة والشَّفاعة حصلتْ لهم المراتبُ الرَّفيعةُ، واندفعت عنهم المَعايِب الوخيمة، في ظُنونِهم الفاسدة.

ثُمَّ بَيَّن الله ذَكَر في القرآن: أَنَّ الشَّفاعة على نوعين:

- **أحدهما**: الشَّفاعة المُثبَتَة.
- **والآخر**: الشَّفاعة المَنفيَّة.

والشَّفاعة المُثبَتَة هي الشَّفاعة المُشتمِلة على إذْن الله ورِضاه.

والشَّفاعة المَنفيَّة هي الشَّفاعة الخاليةُ من إِذْن الله ورِضاه.

وهذا معنى قول النَّاظم:

(بِشَـــــــــرْطِهِ الَّذِي أَتَى صَرِيحَـــــــــا
عَـــنْ رَبِّنَـــا حَـــتَّى بَـــدَا فَصِـــيحَا)

يعني في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النَّجم].

وحُذِف مُتعَلَّق الفِعل ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ ليَعُمَّ، فإنَّه يجمع رِضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الشَّافع، ورضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن المشفوع له.

و**(الشَّفاعة المَنفيَّة) مِن أفرادِها**: الشَّفاعة للكفَّار؛ فإنَّ الشَّفاعة مَنفيَّةٌ عنهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدَّثِّر].

ثُمَّ أشار إلى ذينِك النَّوعين بقوله:

(فَـــالْأَوَّلُ الْمَـــنْفِي عَـــنِ الْكُفَّـــارِ
الْخَـــــالِدِينَ أَبَـــــدًا فِي النَّـــــارِ
وَالْمُثْبَـــــتُ اللهُ بِـــــهِ تَفَضَّـــــلَا
عَلَى مُشَـــــفَّعٍ وَمَشْـــــفُوعٍ تَـــــلَا
بِشَـــــــــرْطِهِ الَّذِي أَتَى صَرِيحَـــــــــا
عَـــنْ رَبِّنَـــا حَـــتَّى بَـــدَا فَصِـــيحَا)

وحقيقة **(الشَّفاعة الشَّرعِيَّة)**: أَنَّها سؤالُ الشَّافعِ اللهَ حُصولَ نَفْعٍ للمشفوع له.

والنَّفع الَّذي يكون له نوعان:

- **أحدهما**: جَلْب خيرٍ.
- **والآخر**: دَفْع ضُرٍّ.

فالشَّفاعة يُرجَى منها حصول هذا وهذا؛ فيُشفَع للعبد رجاء أَنْ يحصل له خيرٌ، ويُشفَع له رجاء دفعِ ما يلحقُه من الضُّرِّ.

ومسألة الشَّفاعة مسألةٌ عظيمةٌ، مَرَدُّها إلى ما جاء في الوَحْي؛ لأَنَّها خبَرٌ عن غيبٍ؛ فليس لأحدٍ أن يَبْتَدِرَ فيها قولًا بما يكون منها عند الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة إِلَّا بما جاء في القُرآن والسُّنَّة، وهُما وافيان في بيان مسائلها.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

وَاخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ مَنْ عَبَدَا
كَوَاكِبًا وَمِنْهُمُ مَنْ قَصَدَا
عِبَادَةَ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ
أَوِ النَّبِيِّينَ مَعَ الْأَخْيَارِ
وَسَاجِدٌ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ
أَوْ نَجْمَةٍ رَجَاءَ دَفْعِ الضَّرَرِ
وَغَيْرُهُمْ فِي زُمْرَةِ الْأَنْوَاكِ
مُعَظِّمٌ لِلرُّوحِ وَالْأَمْلَاكِ
فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ نَبِيُّنَا
وَقَاتَلَ الْأَشْرَارَ لَمَّا بَيَّنَا

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر النَّاظم في هذه القاعدة الثَّالثة: **أَنَّ حال المشركين عند بِعثة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أديانِهم كانت مُختلِفةً**؛ فمنهم مَنْ كان يعبد الكواكب، ومنهم مَنْ كان يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم مَنْ كان يعبد النَّبيِّين والصَّالحين، ومنهم مَنْ كان يعبد الشَّمس

والقَمَر والنُّجوم. فأديانُهم مُتعدِّدةٌ.

وجُملة معبوداتهم ترجع إلى نوعيْن:

- **أحدهما: معبوداتٌ سماويَّةٌ سوى الله**؛ كالملائكة، والشَّمس، والقمر، والنُّجوم.
- **والآخر: معبوداتٌ أرضِيَّةٌ**؛ كالأصنام، والأحجار، والأشجار.

وقد ذكَر أبو العبَّاس ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: أَنَّ أَوَّل شِرْكٍ مُتَعَلَّقٍ بالمعبودات السَّماويَّةِ هو شِرْك قومِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأَنَّ أَوَّل شِرْكٍ مُتَعَلِّقٍ بالمعبودات الأَرضِيَّة هو شِرْك قومِ نوحٍ.

فقوم إبراهيمَ عَظَّموا الأفلاك والأجرام السَّماوِيَّة، فوقعوا في معبوداتٍ سماويَّةٍ سِوى الله عَزَّوَجَلَّ أشركوا بها.

وقوم نوحٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَظَّموا رِجَالًا صالِحين اتَّخذوا لهم تماثيلَ، ثُمَّ عبدوهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ؛ فَوقعوا في معبودٍ أرضيٍّ سِوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومع تَعَدُّد معبوداتِهم فلم يُفَرِّق النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم في التَّكفير؛ لأَنَّ **مَناط الكُفرِ** هو جَعْل العبادة لغير الله دون نَظَرٍ إلى مَنْ جُعِلَت له؛ ولو كان ملكًا مُقَرَّبًا أو نَبِيًّا مُرسلًا. فلا اختلافَ بين تلك المعبودات في تكفير أصحابِها؛ لأَنَّ العبادة حَقٌّ لله وحده، فمَنْ جَعَل منها شيئًا لأحدٍ سوى الله كائنًا مَنْ كان فقد وَقَع في الكفر؛ ولذلك أَكْفرَهم النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقَاتَلهم، كما قال النَّاظم:

(فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ نَبِيُّنَا
وَقَاتَلَ الْأَشْرَارَ لَمَّا بَيَّنَا)

و(الْأَشْرَارُ)؛ يعني أهل الشِّرك؛ لأَنَّ الشِّرك أعظمُ الشَّرِّ. **فشَرُّ الشَّرِّ**: الشِّرك، **وخَير الخير**: التَّوحيد.

وقوله: (فِي زُمْرَةِ الْأَنْوَاكِ)؛ **الأنواك**: جَمْع (أَنْوكٍ)، وهو الأحمق.

وأعظم الحُمْق: جَعْل شيءٍ من غير الله لغيره.

فإذا كان المرءُ من الخَلْق إذا جَعَلَ شيئًا لأحدٍ من الخَلْق كائنًا لغيره وُصِف بِقِلَّة العقل؛ فإِنَّ من أعظم الحُمق: أَنْ يجعل العبدُ ما لله لغيره؛ ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]؛ يعني أصابَهُ السَّفَه.

فـ (**السَّفيه**) **حَقًّا** هو مَنْ يجعل حَقَّ الله عَزَّوَجَلَّ لأحدٍ من الخَلْق.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

الشِّـــــرْكُ فِي الْأَعْصَـــارِ ذِي الْأَخِــيرَهْ
أَصْـــــحَابُهُ ذَلُّـــــوا أُولِي الْجَرِيـــــرَهْ
لِأَنَّهُـــــــــمْ فِي كُلِّ شِرْكٍ سَـــــــبَقُوا
أَضْرَابَهُـــــمْ فَغَـــــيْرُهُمْ مُسْـــــتَبَقُ
فَـــالْأَوَّلُونَ مُشْـــــرِكُونَ فِي الرَّخَــــا
وَهَـــؤُلَاءِ شِرْكُهُـــــمْ بِــــلَا ارْتِخَــــا

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ النَّاظم - وَفَّقه الله - في هذه القاعدة الرَّابعة: **الفَرْق بين شِرْك المتقدِّمين وشِرْك المتأخِّرين**؛ فإنَّ المتأخِّرين أَرْبَوْا في الشِّرك على الأَوَّلين.

۞ **واقتصر النَّاظم على ما ذَكَره صاحب الأصل**: مِن أَنَّ الأَوَّلين كانوا يُشْرِكون في الرَّخاء ويُخلِصون في الشِّدَّة؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]؛ فالأَوَّلون مُشرِكون في الرَّخاء، مُوَحِّدون في الشِّدة.

وأَمَّا المُشركون (فِي الْأَعْصَارِ ذِي الْأَخِيرَهْ) أي الأزمنة المتأخِّرةِ (أَصْحَابُهُ ذَلُّوا أُولِي

الجْرِيرَهْ)؛ يعني أُولِي الفِعْلة القَبيحة؛ لأَنَّهم يُشْرِكون في الرَّخاء والشِّدَّة، فما تجري عليهم من شِدَّةٍ يَفْزَعون فيها إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد ذَكَر بعض مَنْ كان مُوافِقًا لأحوالهم: أَنَّه لَمَّا اضطربتْ عليهمُ الأمواج في البحر فَزَعوا يدعون غير الله عَزَّوَجَلَّ، ويُنادون العَيْدَرُوس والبدويَّ وغيرهما! فلمَّا أنجاهم الله عَزَّوَجَلَّ سَمِع منهم مقالاتٍ عجيبةً؛ فقائلٌ منهم يقول: (رأيتُ العَيْدَرُوس يُسَدِّد شِراع السَّفينة)، وقائلٌ منهم يقول: (رأيت البدويَّ يأخذ بِها في الأمواج المتلاطمة)! وهذا شيءٌ لم يكن عليه أهل الشِّرك الأَوَّل.

فأهل الشِّرك الأَوَّل كانت إذا وقعتْ بِهم مثل هذه المُدْلَهِمَّات فزعوا إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيُخلِصون حال شِدَّتِهم.

وأَمَّا هؤلاء: فكما قال: (وَهَؤُلَاءِ شِرْكُهُمْ بِلَا ارْتِخَا)؛ يعني بلا انتهاءٍ، ولا ضَعْفٍ في حال الضَّعف الَّتي تلحقهم، فَهُم يَبْقَوْن يُشركون بالله عَزَّوَجَلَّ فِي أحوال الشِّدَّة.

۞ وذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - أعني مصنِّف الأصلَ - في كتاب «كَشْف الشُّبهات» **فَرْقًا ثانيًا بين شِرْك الأَوَّلين والآخرين:**

وهو أَنَّ الأَوَّلين كانوا يَدْعُون من دون الله عَزَّوَجَلَّ الملائكةَ أو الأنبياءَ أو رِجالًا صالحين، أو أحجارًا وأشجارًا غير عاصيةٍ.

وأَمَّا المتأخِّرون: فإِنَّهم صاروا يدعون فيمَنْ يدعون مِمَّن يُشار إليه بالفِسق والظُّلم والتَّعدِّي والجَوْر عندهم هم فَضْلًا عن النَّاس؛ فكانوا يتقرَّبون إليهم مخافةَ جَوْرهم وظُلمِهم وتَسَلُّطِهم عليهم.

كما كان في زمن المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مِن أُناسٍ مشهورِين بالفُجُور والسِّحر؛ فكان النَّاس يخَافُونَهم ويدْعُونَهم ويجعلون لهم الأموالَ من دون الله عَزَّوَجَلَّ؛ كيوسفَ وشَمْسَان! وكان أحدهما رجلًا كفيفًا يَتَنَقَّل في البلاد دون دليلٍ مُرشِدٍ؛ يعني مِن الإنس، وإِلَّا فكانت شياطينُ الجِنِّ هي الَّتي تأخذ بيدِه وتَدُلُّه!

فكان مع فجورِه وشُهرتِه بما يُخالِف أَمْرَ الشَّرع يُخاف ويُهاب، ويُدْعَى من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

فهذان فَرْقان من الفُروق بين شِرْك الأَوَّلين والآخِرين؛ ذكرهما المصنِّف في تآليفه:

أحدهما: في كتاب «القواعد الأربع»، الَّذي هو أصل هذه المنظومة.

والآخر: في كتاب «كَشْف الشُّبهات».

ووراءَ ذلك فُروقٌ أخرى:

❁ **فالفَرْق الثَّالث**: أنَّ **المتأخِّرين** صاروا يَدْعون معبوداتِهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على جهةِ الاستقلال.

أَمَّا الأَوَّلون: فكانوا يَدْعُون أولئك من دون الله على وَجْه التَّبَع؛ كما كانوا يقولون في تَلْبِيَتِهم: (لَبَّيك لا شريك لك إِلَّا شَريكًا هو لك، تَمْلكه وما مَلَك)، فهو تابعٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ **والفَرْق الرَّابع**: أَنَّ **الأَوَّلين**: كانوا يعتقدون أَنَّ ما هُم عليه مُخالِفٌ لدعوة الرُّسل.

وأَمَّا المتأخِّرون: فيعتقدون أَنَّ ما هُم عليه مُوافِقٌ لدعوة الرُّسل.

فكان الأَوَّلون إذا قيل لهم: قولوا: (لا إله إِلَّا الله) قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا

لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

وأَمَّا المتأخِّرون: فإنَّهم يزعمون أنَّهم مِن أهل (لا إله إلَّا الله) ثُمَّ يدعون غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

ذَكَر هذا الفَرْق عبد اللَّطيف بنُ عبد الرَّحمن بنِ حسنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في جوابٍ له.

۞ **والفَرْق الخامس: أَنَّ المتأخِّرين** يَرَوْنَ أَنَّ التَّعَلُّق بالصَّالحين مِن حَقِّهم، ولم يكن **الأَوَّلون** يعتقدون ذلك.

فالمشركون المتأخِّرون يَرَوْنَ أَنَّ مِن حَقِّ الرَّجُل الصَّالح علينا أَنْ يَتَعلَّق به العبد فيما يَرْجُوه ويُؤَمِّله وفيما يخافه ويرهبه، ولم يكن الأَوَّلون على هذا.

۞ **والفَرْق السَّادس: أَنَّ شِرْك الأَوَّلين** جُلُّه في توحيد الأُلوهيَّة، **وأَمَّا المتأخِّرون** فشِرْكُهم كثيرٌ؛ في الرُّبوبِيَّة، والأُلوهيَّة، والأسماء والصِّفات.

۞ **والفَرْق السَّابع: أَنَّ المشركين** كانوا يُعَظِّمون الله ويُعَظِّمون شعائره، **وأَمَّا المتأخِّرون** فليسوا كذلك.

فكان الأَوَّلون يُعَظِّمون بيتَ الله عَزَّوَجَلَّ، ويعتقدون أَنَّ الكعبةَ أفضل من بيوت أصنامهم، ويُعَظِّم أحدُهم اليَمينَ بالله عَزَّوَجَلَّ، ويُعِيذُون مَنْ عَاذَ ببيت الله عَزَّوَجَلَّ.

وأَمَّا المتأخِّرون: فَإِنَّهم لا يُعَظِّمون الله ولا يُعَظِّمون شعائرَه؛ فيعتقِدون أَنَّ الاعتكاف في المشاهد عند القبور أعظمُ من الاعتكاف في المساجد؛ لأَنَّه عند الاعتكاف في تلك المشاهد يُواجِه رَجُلًا صالحًا يعتقد فيه، وأَمَّا المساجد: فليس فيها ذلك الرَّجُل الصَّالح الَّذي يَتَوَجَّه إليه.

وتجدُ أحدَهم يجتَرئ على أَنْ يحلِف بالله كاذبًا ولا يحلِف بمُعَظَّمِه كاذِبًا؛ فيحلف بالله عَزَّوَجَلَّ مع عِلْمِه بِكَذِبِه، وإذا أُرِيدَ أَنْ يحلفَ بمُعَظَّمه - مِمَّنْ يعتقدُ فيه - لم يَجْتَرئ على ذلك تعظيمًا لذلك المُعَظَّم، ولم يكن المشركون الأَوَّلون على ذلك.

۞ **والفَرْق الثَّامن: أَنَّ الأَوَّلين** لم يكونُوا يعتقدون في مُعَظَّميهم التَّصَرُّفَ الكُلِّيَّ المُسْتَقِلَّ؛ ولذلك يقولُون في التَّلبية: (تَمْلِكُه وما مَلَك)؛ فمِلكه تابعٌ لِمُلك الله عَزَّوَجَلَّ.

وأَمَّا المتأخِّرون: فإِنَّ سَوادًا عظيمًا مِنهم يعتقدون أَنَّ لِمُعَظَّميهم استقلالًا كُلِّيًّا؛ حتَّى قال قائلُهم: (إِنَّ النَّملةَ - الذَّرَّة الصَّغيرة - لا تدخُل أرضَ كذا وكذا إِلَّا بإذنٍ من الوَلِيِّ الفلانِيِّ)! وهذا شيءٌ لم يكن عند أهل الجاهليَّة الأُولَى.

۞ **والفَرْق التَّاسع: أَنَّ المشركين الأَوَّلين** كانوا يَرْجُون آلهتهم في قضاء حوائج الدُّنيا؛ كَرَدِّ غائبٍ، وَوِجدانِ مفقودٍ.

وأَمَّا المتأخِّرون: فإِنَّهم يَرْجون مِن مُعَظَّميهم قضاء حوائجِ الدُّنيا والآخِرة؛ فيُرِيدون منهم كُلَّ حاجةٍ في الدُّنيا والآخِرة.

وكان الأَوَّلون لا يَرْجُون منهم شيئًا في الآخرة، وإِنَّما يرجُون ما في الدُّنيا؛ **لأمورٍ**:

منها: أَنَّ كثيرًا منهم كان يُنكِر البعث.

ومنها: أَنَّ مِنهم مَنْ كان مِمَّنْ يُثبِت البعثَ يعتقد أَنَّ له عند الله عَزَّوَجَلَّ قَدْرًا ومقامًا وحُظوةً؛ فإذا وَصَل إلى الله آتاه الله عَزَّوَجَلَّ ذلك.

ومنها: أَنَّهم كانوا يعتقدون في هؤلاء أَنَّهم وَسائِطُ؛ فَهُم يُوصِلون إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ وهذا الإيصال في الدُّنيا، وأَمَّا الآخرة: فليس فيها مِلْكٌ إِلَّا للهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

۞ **والفَرْق العاشر** [1]: **أنَّ المشركين الأوَّلين** كانوا مُقِرِّين بشِرْكهم، ويُسَمُّون رغبتَهم إلى مألوهاتِهم (عبادةً)؛ قال الله تعالى: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]، فأقرُّوا بشِرْكهم، وسمَّوْا توجُّهَهم إلى تلك الآلهة (عبادةً) في آياتٍ عِدّةٍ.

وأمَّا المتأخِّرون: فيزعمون أنَّهم لا يُشْرِكون، ويُسَمُّون رغبتهم إلى مألوهاتِهم (محبَّةً)، وهم في زَعْمهم كاذبون.

۞ **والفَرْق الحادي عشر: أنَّ المُشركين الأوَّلين** لهم مطالبُ يطلبونَها من آلهتهم، ولهم مطالب لا يطلبونَها إلَّا من الله؛ تعظيمًا لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فيجعلون الأعلى مطلُوبًا من الله.

وأمَّا المتأخِّرون: فيجعلون المطالبَ العُظْمى من مألوهاتِهم، فلا يطلبونَها من الله، ولكن يطلبونَها من مُعظَّميهم.

۞ **والفَرْق الثَّانِي عشر: أنَّ في مُتأخِّري المشركين** مَنْ زعم أنَّ الله يتجلَّى في صور معبوداتِه من المخلوقات، فهو يعبُدهم لأنَّ الله يتجلَّى فيهم!

ولم يكن أحدٌ من المشركين الأوَّلين يعتقدُ أنَّ الله يتجلَّى في صورةِ غيرِه من المخلوقات.

ذكرَ الفَرْقَيْن الأخيرين ابن تيميَّةَ الحفيدُ.



(١) هذا الفَرْقُ وما بعَده أُلحِق من شرحٍ متأخِّرٍ لمتنِ «القواعد الأربع».

قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

الخَاتِمَةُ

فَـــــأَدْرِكَنَّ هَـــــذِهِ الْقَوَاعِـــــدَا
لِتَغْـــــنَمَ الْعُلُـــــومَ وَالْفَوَائِـــــدَا

مَـــعْ دَعْـــوَةٍ بِـــالْخَيْرِ لِلْإِمَـــامِ
تَعْـــدَادَ هَاطِـــلٍ مِـــنَ الْغَمَـــامِ

أَكْمَلْتُهَـــــا بِطَيْبَـــــةَ الْمُطَيَّبَـــــهْ
حَـــالَ اشْـــتِغَالِي بِـــالْعُلُومِ الطَّيِّبَـــهْ

وَمَـــا بَرِحْـــتُ نَظْمَهَـــا مُنَقِّحَـــا
حَـــتَّى تَبَـــدَّى حُسْـــنُهَا مُرَجَّحَـــا

فَالْحَمْـــــــــدُ للهِ عَلَى الْإِتْمَـــــــــامِ
مَـــا شَـــعَّتِ الْأَضْـــوَاءُ فِي الظَّـــلَامِ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ النَّاظم في هذه (**الخَاتِمَةِ**) حَثًّا على إدراك هذه القَواعد؛ لِيَغْنَمَ الطَّالب (الْعُلُـومَ وَالْفَوَائِدَ)؛ لأَنَّ معرفةَ القواعدِ تُعين على ضَبْط العلوم.

فالعِلم لا مُنتهى له، ومَنْ أحاط بقواعدِه عِلْمًا أَمْكنَه أن يَعِي أحكام فروعِه ونَوازله،

وإلى ذلك أشار شيخنا ابن عُثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فِي قوله:

وَبَعْـدُ فَـالْعِلْمُ بُحُـورٌ زَاخِـرَهْ   لَـنْ يَبْلُـغَ الكَـادِحُ فِيـهِ آخِـرَهْ

لَكِـنَّ فِـي أُصُـولِهِ تَسْـهِيلَا   لِنَيْلِـهِ فَـاحْرِصْ تَجِـدْ سَـبِيلَا

فمِن أعظمِ المَراقي المُوصِلة إلى العلم: أَنْ يسلكَ الطَّالبُ العنايةَ بالأَخْذِ بالقواعد؛ لأَنَّها تجمع له العلوم.

ثُمَّ أَوْصَى النَّاظم بالدُّعاء للمُصَنِّف الَّذي صَنَّف الأصلَ؛ وهو إمام الدَّعوة الإصلاحيَّة في جزيرة العرب في القرن الثَّانِي عشر الشَّيخ محمَّدُ بن عبد الوهَّاب التَّميميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (تَعْدَادَ هَاطِلٍ مِنَ الْغَمَامِ)؛ يعني تعداد ما يهطل مِن المطر من السَّحاب.

والمقصود: أَنْ يدعو له الإنسان دعاءً كثيرًا؛ لِمَا له رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من الفضل.

وكان العارفون بما كان عليه النَّاس قبلُ يَشهدون هذا الفضلَ له؛ فإِنَّهم كانوا يعرفون أَنَّ النَّاس في (الجُبَيْلَة) يذهبون إلى قبْر زيد بن الخَطَّاب ويدعونه، وكانوا يرون النِّساء يذهبْن فِي (مَنْفُوحة) إلى نخلةٍ عظيمةٍ يَرْجُون منها حصول الزَّواج والولد.

فلمَّا عرفوا ما كان عندهم من الشِّرك وعرفوا ما دعاهم إليه مِن التَّوحيد؛ عرفوا فضل هذا الرَّجل، وهُم لا يعرفون مِن فضل هذا الرَّجل إِلَّا أَنَّه أرشدَهم إلى الله.

فلمَّا أرشدَهم إلى الله بما بَيَّن لهم من الكتاب والسُّنَّة صار عندهم هاديًا مُرشِدًا، لا أَنَّه مُسْتَقِلٌّ بالتَّبع في نفسه.

ولهذا؛ لَمَّا وَصَلَ بعضُ أصحابِه إلى بعضِ أطراف البلاد اليمانيَّة قال له رجلٌ من

علمائهم: إنَّكم إنَّما تتبعون هذا الرَّجل لأجل ذاته. فقال: إنَّما نتَّبعه لأجل ما بَيَّن لنا من الكتاب والسُّنَّة، وإنِّي أُشهِدُك أَنَّ محمَّد بن عبد الوهَّاب لو قَام مِن قبْرِه فأمَرَنا أن نترْك ما نحن عليه الآن لم نُطِعْه؛ لأَنَّنا عرفنا به القرآن والسُّنَّة، فلمَّا وصلْنا إلى القرآن والسُّنَّة لم نَحْتَجْ إلى اتِّباعه في كُلِّ ما يقول، فإذا تَبَيَّن لنا أَنَّ قولَه هو خلاف الكتاب والسُّنَّة تركْنا قوله، وأخذنا بما فَهِمْنا من الكتاب والسُّنَّة.

ولهذا؛ كان مَنْ مضى رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى يَعْرِفُون قَدْره.

وفي بلاد نجدٍ وغيرها أوقافٌ عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، ووصايا بالأضاحي.

وكان بعض الصَّالحين يكتب في وصيَّته أَنْ يُطبَع من كُتُب هذا الرَّجُل، ويُقسَم الآلافُ بعد موته؛ ابتغاءَ نَشْر دعوته.

فأحد الصَّالحين قبل سنين عددًا أَمَر بأَنْ يُطبَع من كتاب «ثلاثة الأصول» عشرة آلاف نُسخةٍ، وأَنْ تُوَزَّع على المسلمين؛ لمعرفتِه بقَدْرِ ما فيها من العلم النَّافع؛ لأَنَّ فيها أسئلةَ القبْر الثَّلاثة: من ربُّك، ومعرفة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة دين الإسلام.

ولا يختصُّ هذا به؛ بل كُلُّ داعٍ إلى الخير والهُدى والتَّوحيد والسُّنَّة ينبغي أن يَعرِف النَّاس حقَّه إذا أرشدهم وهَداهم إلى خلاف ما كانوا عليه من الضَّلالة.

فإذا أرشدهم إلى الحَقِّ بعد الضَّلالة وإلى الهُدى والنُّور كان من حَقِّه عليهم أن يحفظوا حَقَّه بالدُّعاء والإحسان إليه.

ثُمَّ قال: (أَكْمَلْتُهَا بِطَيْبَةَ الْمُطَيَّبَهْ)؛ يعني بالمدينة النَّبويَّة.

(حَالَ اشْتِغَالِي بِالْعُلُومِ الطَّيِّبَهْ)؛ أي حالي اشتغالي طالبًا بِأَخْذ العلم عن علمائها.

ثُمَّ قال: (وَمَا بَرِحْتُ نَظْمَهَا مُنَقِّحَا)؛ أي لم أَزَل مُنَقِّحًا نَظْمها.

(حَتَّى تَبَدَّى حُسْنُهَا مُرَجَّحَا)؛ يعني بَدت ظاهرةً للحُسْن، نافعةً فِي نَشْرِها.

(فَالْحَمْــــــــــدُ للهِ عَلَى الْإِتْمَـــــــــامِ
مَـــا شَـــعَّتِ الْأَضْـــوَاءُ فِي الظَّـــلَامِ)

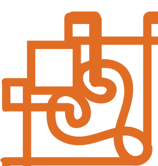
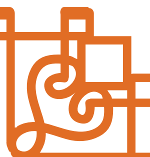
وبتمامها تَمَّ بحَمْد الله عَزَّوَجَلَّ مقاصدُ البيانِ لهذه المنظومة على وجه الإيجاز.

والحمد لله ربِّ العالمين.

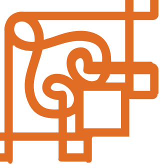
وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

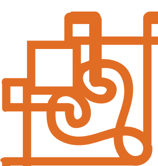
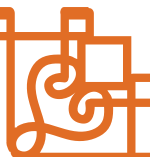
تَمَّ الشَّرْحُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ
ليلة السَّبت الثَّالث عشر من ربيع الآخر
سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وأربعمائةٍ وألفٍ
في جامع عمر بن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمدينة الدَّوحة



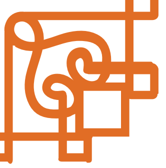



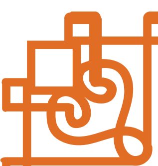
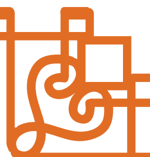
فَوَائِد

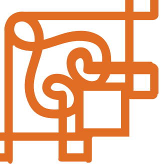



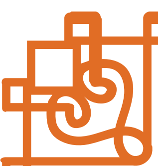
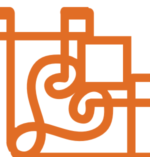
فَوَائِد

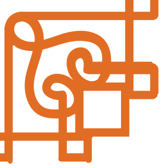



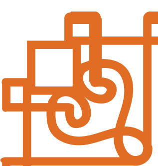
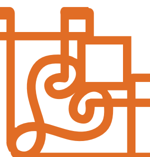
فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد